بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإنَّ من نِعَم الباري جَلَّوَعَلَا على الإنسان أن جعل خِلْقَته أجمل المخلوقات، وهيئته أفضل الهيئات، فهو متناسب الأعضاء، منتصب القامة، فما من شيء يحتاج إليه ظاهراً وباطناً إلَّا وهو مركَّب فيه[1]، لهذا امتنَّ الله تعالى عليه بهذه النعمة في مواضع عديدة من كتابه فقال جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار: ٦-٨]، وقال: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾[التين: ٤].

ومن تلك النِّعَم التي ميَّزه بها عن سائر مخلوقاته: نعمة النطق، لهذا خصَّها جَلَّوَعَلَا بالامتنان فقال: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ﴾[البلد: ٨-٩]، إلَّا أنَّ هذه النعمة إن لم تُضبط بالشرع، ويُراعى فيها حدود الله فإنها تنقلب نقمة على صاحبها، إذ هي مصدر كثير من المعاصي، ومنبع ما لا يُحصى من المخالفات، يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ منبِّهاً على هذه الحقيقة، ومحذِّراً من تَبِعاتها: «إذا أصبح ابن آدم فإنَّ الأعضاءَ كلها تُكفِّر اللسان -أي: تَذِل وتخضع له[2]- فتقول: اتَّقِ الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمتَ استقمنا، وإن اعوَجَجْتَ اعوَجَجْنا»[3].

ومن آفات اللسان الكبيرة، ومزالقه العظيمة ذلكم العمل الذي جرى على ألسنة كثير من الناس، وفشا في كثير من المجتمعات مع ورود النصوص بالنهي عنه، والتحذير منه، ووَصْفِه بأشنع الأوصاف المنفِّرة عن القيام به، ألا وهو: الحلف بغير الله تعالى، وإليك -أخي القارئ- هذه الحادثة

(١) انظر: «تيسير الكريم الرحمن للسعدي» (ص٩١٤، ٩٢٩).
(٢) انظر: «فيض القدير للمناوي» (٢٨٦/١).
(٣) رواه الترمذي (٢٤٠٧) واللفظ له، وأحمد (١١٩٠٨)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٧١).



المبيِّنة لعناية النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالنهي عن الحلف بغير الله، ومبادرته بالإنكار على من صدر منه ذلك.

أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أدرك عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وهو يسير في ركب، ويحلف بأبيه، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «ألا إنَّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، مَن كان حالفاً فليَحْلِف بالله أو ليَصْمت»[4]، فبين صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنَّ ممَّا نهانا عنه ربُّنا جَلَّوَعَلَا: الحلف بغيره سبحانه من الآباء وغيرهم -كما سيأتي-، وذلك أن الحلف بالله تعالى حقٌّ خالص لله، فلا يُحلَف إلَّا بالله، كما لا يُصلَّى إلَّا لله، ولا يُنذر إلَّا لله، ولا يُصام إلَّا لله، ولا يُتوكل إلَّا على الله، ولا يُخاف إلَّا من الله، وما كان حقّاً خالصاً لله لم يكن لغيره فيه نصيب[5]؛ ولهذا قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في آخر الحديث: «مَن كان حالفاً فليَحْلِف بالله أو ليَصْمت»، يقول القرطبي رَحِمَهُٱللَّهُ: «وهذا حَصْر في عدم الحلف بكل شيء سوى الله تعالى وأسمائه وصفاته»[6].

ومن تأمَّل هذا العمل -أعني الحلف بغير الله- وجد فيه مفاسد كثيرة، كل مفسدة أدهى من الأخرى وأعظم:

من ذلك: أن الحلف بغير الله فيه مشابهة للكفار في حلفهم بغير الله، وذلك أنَّ حلف المسلمين لا يكون إلَّا بالله، وحلف الكفار يكون بغير الله تعالى على اختلاف أنواع المحلوف به عندهم، فمن حلف بغير الله فقد شابه الكفار في هذا العمل.

ومن ذلك: الوقوع في خصلة من خصال الجاهلية، فإنَّ من المشهور المعروف أنَّ من خصال الجاهليين في عهد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الحلف بغير الله، كالحلف بآلهتهم التي يعبدونها كاللَّات والعُزَّى وهُبل، أو الحلف بالآباء والأجداد، وغيرهم، وممَّا يوضح هذا قول ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: «وكانت قريش تحلف بآبائها»، فقال -أي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-:

(٤) رواه البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦).
(٥) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٨٠/١-٨١) (٩٣/٢٧).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن للقرطبي» (١٧٥/٦).



«لا تحلفوا بآبائكم»[7].

ومن ذلك: أنَّ في الحلف بغير الله تعظيم غير الله بما هو مختص بالله تعالى[8]، وإذا كان الحلف خاصّاً بالله لم يكن لغير الله فيه نصيب -وإن قلَّ-، وهذه المفسدة تجرُّنا إلى ذكر مفسدة أخرى، وهي نتيجة في الحقيقة للمفسدة السابقة، وهذه المفسدة هي: الوقوع في تشبيه المخلوق بالخالق فيما هو مختص بالخالق -جل شأنه-، يبيِّن هذا الإمام المقريزي -أحد علماء الشافعية- فيقول رَحِمَهُٱللَّهُ في أثناء حديثه عمَّا هو مختص بالله من الأعمال: «ومن خصائص الإلهيَّة: السجود، فمن سجد لغيره فقد شبهه به، ومنها: التوكل، فمن توكل على غيره فقد شبهه به، ومنها: التوبة، فمن تاب لغيره فقد شبهه به، ومنها: الحلف باسمه، فمن حلف بغيره فقد شبهه به»[9]، وهذا نص صريح من هذا الإمام على أن الحلف بغير الله فيه تشبيه المخلوق بالخالق فيما هو مختص بالخالق.

ولأجل هذه المحاذير العظيمة التي يقع فيها الحالف بغير الله، والمفاسد الكبيرة المترتبة على ذلك تكاثرت النصوص عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالنهي عن الحلف بغير الله بصيغ متنوعة، وألفاظ مختلفة، وفي مناسبات متعددة، فعن سعيد بن عُبيدة قال: كنت عند ابن عمر، فحلف رجل بالكعبة، فقال ابن عمر: وَيْحَك لا تفعل، فإني سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «مَن حلف بغير الله فقد أشرك»[10].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلَّا بالله، ولا تحلفوا بالله إلَّا وأنتم صادقون»[11].

(٧) رواه البخاري (٣٨٣٦)، ومسلم (١٦٤٦).
(٨) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٥٣١/١١).
(٩) «تجريد التوحيد المفيد للمقريزي» (ص٤٥).
(١٠) رواه أبو داود (٣٢٥١)، وأحمد (٥٥٩٣)، وابن حبان (٤٣٥٨) واللفظ له، وغيرهم، وانظر: «إرواء الغليل» (٢٥٦١).
(١١) رواه أبو داود (٣٢٤٨)، والنسائي (٣٧٦٩)، وابن حبان (٤٣٥٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٢٤٨).



والمراد بالأنداد المنهي عن الحلف بها في الحديث: ما كان يتخذ آلهة من دون الله تعالى[12].

وعن عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «لا تحلفوا بالطَّواغي ولا بآبائكم»[13].

و«الطواغي»: هي الأصنام.

وعن بريدة الأسلمي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مَن حلف بالأمانة فليس منَّا»[14].

وعن قُتَيْلة بنت صفي الجهنيَّة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «فمَن حلف فليَحْلِف بربِّ الكعبة»[15].

ومقصود الحديث: من أراد الحلف فلا يحلف بالكعبة[16]، وإن كانت عظيمة في النفوس، كبيرة في القلوب، وإنما يُحلف بربِّ الكعبة عَزَّوَجَلَّ وتقدَّست أسماؤه.

وبهذا التحذير الشديد المتواصل منه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يُعلم قُبح الحلف بغير الله وخطورته، وأن هذا النهي منه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عامٌّ: فيشمل كلَّ ما سوى الله تعالى سواء كان المحلوف به نبيّاً من الأنبياء، أو مَلَكاً من الملائكة، أو كان المحلوف به أباً أو أمّاً أو رأس الولد، أو كان المقسم به الشرف أو الأمانة ونحو ذلك مما لا حصر له ولا عدّ، والأحاديث صريحة في العموم، يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «كل يمين يُحلَف بها دون الله شرك»[17]، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مَن حلف بغير الله فقد أشرك»[18].

وبما أنَّ الحلف بغير الله تعالى شرك بنصِّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وحكمه، فإنَّ يمين الحالف إذا كانت بغير الله فإنها غير منعقدة باتفاق الأئمة

(١٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣٥/٥).
(١٣) رواه مسلم (١٦٤٨).
(١٤) رواه أبو داود (٣٢٥٣) واللفظ له، وأحمد (٢٢٩٨٠)، وابن حبان (٤٣٦٣)، والحاكم (٨٠٠٩)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩٤).
(١٥) رواه النسائي (٣٧٨٢)، وأحمد (٢٧٠٩٣) واللفظ له، وغيرهم، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١١٦٦).
(١٦) انظر: «فيض القدير للمناوي» (١٢٠/٦).
(١٧) رواه الحاكم (٤٦)، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٠٤٢).
(١٨) سبق تخريجه.

كما نص على ذلك الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[19].

وممَّا يجدر التنبيه عليه: أنَّ الحكم بالشرك الوارد في الحديث على من حلف بغير الله محمول على الشرك الأصغر، غير المخرج من الملَّة، وفي إيضاح هذا وتقريره يُقال: إن الحلف بغير الله تعظيم -كما تقدم- و«هذا النوع من التعظيم لا يصلح إلَّا لله عَزَّوَجَلَّ، وتعظيم غير الله بما لا يكون إلَّا لله شرك، لكن لَمَّا كان هذا الحالف لا يعتقد أن عظمة المحلوف به كعظمة الله لم يكن الشرك شركاً أكبر، بل كان شركاً أصغر، فمن حلف بغير الله فقد أشرك شركاً أصغر...»[20]، وقد قرر هذا غير واحد من العلماء المعتبرين المشهورين كالطحاوي وغيره[21]، ولهذا وجب على من صدر منه الحلف بغير الله أن يبادر بالتوبة والاستغفار والعمل بما أمر به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «مَن حلف فقال في حَلِفه: واللَّات والعُزَّى، فليقل: لا إله إلَّا الله...»[22]، فهذه هي كفارة الحلف بغير الله.

لقد كان لتقرير هذه المسألة من نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتأكيده على حُرمتها أثرها البالغ في نفوس أعلم الناس بشرع الله، وأفهمهم لمراد الله ومراد رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحرصهم على تطبيق دين الله وهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، لهذا تعددت عنهم الآثار بالتحذير من الحلف بغير الله، والتشديد على من يصدر منه ذلك.

من ذلك ما رواه أبو نعيم بسنده إلى خُنَاس بن سحيم قال: «أقبلتُ مع زياد بن جرير من الكُنَاسة، فقلتُ في كلامي: لا والأمانة. فجعل زياد يبكي ويبكي، حتى ظننتُ أني أتيتُ أمراً عظيماً، فقلت له: أكان يُكره ما قلتُ؟ قال: نعم، كان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

(١٩) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٥٠٦/١١).
(٢٠) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٢١٥/٢).
(٢١) انظر: «شرح مشكل الآثار للطحاوي» (٢٩٧/٢).
(٢٢) رواه البخاري (٤٨٦٠) واللفظ له، ومسلم (١٦٤٧).



ينهى عن الحلف بالأمانة أشدَّ النهي»[23].

وها هو حبر الأمة وترجمان القرآن يقول في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]: «الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاةٍ سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتِك يا فلان وحياتي...لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك»[24].

ومراد ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن الآية عامة في تحريم الشرك بأنواعه، فهي وإن كانت في الأكبر إلَّا أنها تشمل ما دونه، ومنه الشرك في الألفاظ، الذي منه الحلف بغير الله، كالحلف بحياة المخلوق كما مثَّل بذلك ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لأَنْ أحلف بالله كاذباً أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره وأنا صادق»[25].

ولعلَّ البعض يستغرب هذا من ابن مسعود، لكن يُقال: لا غرابة إذا عُرِف أن «الحلف بغير الله شرك، والحلف بالله توحيد، وتوحيد معه كَذِب خير من شرك معه صدق»[26].

ولأهمية هذا الموضوع اعتنى مدوِّنو السُّنة وعلماء الحديث بالنصوص الواردة في المسألة، فأوردوا تلك الأحاديث الواردة في النهي عن الحلف بغير الله في مصنفاتهم، وبوَّبوا عليها أبواباً عديدة تُظهر حرصهم، وشدة غَيْرتهم على حقوق الله تعالى، وحمايتهم لدينه جل وعلا[27].

وبما تقدم من النصوص السابقة يستفيد المسلم عدة فوائد:

١- تحريم الحلف بغير الله؛ لِمَا سبق من النصوص في ذلك، ولِمَا اشتمل عليه هذا العمل من مفاسد.

(٢٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٩٦/٤).
(٢٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٩) بإسناد جيد، كما قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٠٩).
(٢٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨٩٠٢)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٩٥٣): صحيح موقوف، وانظر: «إرواء الغليل» (٢٥٦٢).
(٢٦) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٨١/١).
(٢٧) انظر: البخاري مع الفتح (٥٣٠/١١)، ومسلم مع شرح القاضي (٤٠٠/٥)، وصحيح ابن حبان (١٩٩/١٠) وما بعدها.



٢- أن النهي عن الحلف بغير الله عامٌّ، لعموم الأدلة في النهي عن ذلك، ودون التفريق بين مخلوق وآخر.

٣- أن النهي عن ذلك يشمل جميع صور حالات الحلف بغير الله، سواء على جهة التعظيم أو لا، وسواء على سبيل الجدِّ أو المزاح وما شابه ذلك.

٤- عناية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقضايا التوحيد، وسدِّه كل ما يؤدي إلى خدشه أو الإخلال به ولو كان يسيراً في أنظار الناس، أو محلِّ تساهل عندهم، ولهذا نظائر، منها: ما جاء من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رجلاً قال للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما شاء الله وشئت، فقال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أجَعَلْتني والله عِدْلاً، بل ما شاء الله وحده»[28]، وهكذا شأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سائر المسائل المخالفة لتوحيد الله أو المؤدية إلى الإخلال بالإيمان به، مما يدل على شدة اهتمامه ببيان هذه المسائل وإيضاحها، وأن على المسلم أن يقتدي بنبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيجعل قضايا التوحيد وشرح مسائل الإيمان من أولويات اهتماماته، فيسعى في توضيحها للناس بالتي هي أحسن، وبالحكمة والموعظة الحسنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(٢٨) رواه أحمد (١٨٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٣٠٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢١٧/٣)، وحسَّنه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٣٩).



سلسلة مطويات شبكة بينونة

# لا تحلفوا إلا بالله عز وجل

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE